

أحاديث رمضان ١٤٣٦ - درر - الحلقة السابعة : التواضع .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٦-٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم هـم منـك أرفع ؟
فإن كنت في عز وخير ومنـة فكم مات من قوم هم منك أوضع ؟

التواضع هو درة اليوم ، وما تواضع
عبد الله إلا رفعه الله تعالى ، ومن
تواضع لله زاده الله عزاً ، فإذا أردنا
عز الله عز وجل ونصره وفتحته فلنكن
متواضعين لعباد الله تعالى ، هلموا بنا
إلى درة اليوم نستجلي معانيها ،
ونستشف مراميها من كتاب الله تعالى
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،
وسيرة سلفنا الصالح .



بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين ، أخوتي المشاهدين أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بالخير واليمن والبركات
والطاعات ، وإلى لقاء جديد مع درة جديدة من درر الشريعة السمحاء ، واسمحوا لي بداية أن
أرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم سيدي .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

سيدي درة اليوم من الدرر التي نتناولها في هذه الحلقات الطيبات مع فضيلتكم هي درة التواضع ،
وعندما نقرأ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نلاحظ تواضعه ملاحظة واضحة في كل شؤون
حياته ، بدءاً مما يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم

على الصبيان ، إلى ملاطفته لأخ أنس بن مالك يا عمير ما فعل النغير ؟ إلى قول عائشة رضي الله عنها : "كان في مهنة أهله ، كان يخيظ ثوبه ، ويخسف نعله " هذه الأخلاق الحميدة من تواضع النبي صلى الله عليه وسلم أين نجدها من كتاب الله تعالى ؟ وكيف اكتسب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأخلاق الفاضلة ؟

كيفية اكتساب النبي الكريم الأخلاق الفاضلة و الآية الدالة على ذلك :

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .



الحقيقة الدقيقة أن هذا التواضع أصله في قوله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَكُوْنتَ فِطْرًا غَلِيظًا لَّنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

هذه الباء في بما باء السبب عند علماء

النحو ، أي يا محمد بسبب رحمة استقرت في قلبك من خلال اتصالك بنا كنت لينا لهم ، هذه الرحمة التي في القلب انعكست لينا في تعاملك مع أصحابك ، فلما كنت لينا معهم التفوا من حولك ، وهذه الآية يحتاجها الأب والأم والمعلم والأستاذ وأي منصب قيادي من أقل منصب إلى أعلى منصب ، هؤلاء الذين حولك إذا كنت متصلاً بالله يمتلئ قلبك رحمة ، تتعكس هذه الرحمة لينا في التعامل ، هذا اللين يجعل الناس يلتفون حولك ، لا سمح الله ولا قدر لو كان الإنسان منقطعاً عن الله يمتلئ القلب قسوة ، وهذه القسوة تنعكس غلظة وفضاظة ، وعندئذ ينفذ الناس من حولك وكان هذه الآية تشف عن قانون

هذا القانون ، قانون الالتفاف والانفضاض ، ما من أب إلا ويتمنى أن يلتف أولاده حوله وما من أم ، ولا أستاذ ، ولا مدرس ، ولا معلم ، ولا رئيس دائرة ، ولا قائد ، أي منصب قيادي في الأرض يسعد هذا المنصب أن يلتف أتباعه حوله ، هذا الالتفاف هو قانون ، الاتصال بالله يمثل القلب رحمة ، هذه الرحمة التي استقرت في



قلب الإنسان من خلال الاتصال بالله تنعكس لينا ، هذا اللين يدعو من حولك أن يلتفوا حولك ، فهذه الآية أصل في الموضوع وهي آية أساسية ومركزية ، ويحتاجها أي إنسان يتولى على عشرة ، أي منصب قيادي في الأرض يحتاج إلى هذه الآية ، فما من إنسان يدير مؤسسة أو وزارة أو مجموعة من الموظفين يسعده أن يكونوا معه ملتقين حوله ، يقدرونه ، يتعاونون فيما بينهم .

فائدة فريق العمل :



والحقيقة هناك شيء يسمى فريق العمل فريق العمل أنا أتصور أن قوة الغرب عن طريقه ، فريق العمل توزع المهام بين فريق من الموظفين ، وكل موظف يأخذ حظه من إتقان هذا الاختصاص ، بمجموعهم يشكلون توفيقاً ، لذلك في الدول النامية المقاييس إنتمائية ، في الدول المتقدمة القوة مادية ، المقاييس موضوعية ، الفرق كبير بين أن نعتمد مقياساً انتمائياً أو مقياساً موضوعياً ،

وأنا أرى أن أية أمة لا ترقى ولا تقوى إلا بالمقاييس الموضوعية فإذا حلّ المقياس الانتمائي محلّ المقياس الموضوعية تخلفت هذه الأمة ، و صار بأسها بينها .

والشيء المؤلم جداً أن الذين ابتعدوا
عن الدين بذكائهم ، وبعقلهم الراجح ،
وجدوا أن مصلحتهم في التعاون ، وفي
أن يكون لكل إنسان مهمة محددة ،
ويتناغمون جميعاً في تحقيق هذا الهدف
الكبير ، أما إذا ابتعدوا عن الحقيقة
وعن الدين يصير هناك تنافس ،
فالتنافس حلّ محلّ التعاون ، فلذلك
التعاون فضيلة ، والتعاون طاعة ،



والتعاون حضارة ، والتعاون قوة ، والرحمة هي الأصل ، ما دام قلب هذا الإنسان الذي يحتل
منصباً قيادياً ممثلاً برحمة اشتقها من الله من خلال اتصاله بالله عندئذ تتعكس هذه الرحمة لينا في
تعامله مع من حوله ، هؤلاء يتعاونون معه ، يتنافسون في خدمة الهدف الكبير لهذه المصلحة ،
أنا أرى لا يمكن أن تتقدم أمة إلا بهذه الطريقة ، لذلك النبي صلى الله عليه وسلم حينما دخل
المدينة فيها أوس وثنيون ، وخزرج وثنيون ، فيها أوس مسلمون ، وخزرج مسلمون ، فيها موالى
وأعراب ، فيها يهود ، فيها نصارى ، فقال : أهل يثرب أمة واحدة . حلّ المقياس الجماعي محل
المقياس الفردي ، الفردية علامة تخلف والجماعية علامة تقدم .
الأستاذ بلال :

نستطيع أن نفهم منكم أستاذنا الفاضل أن أساس التواضع ومنطلقه حسن الصلة بالله تعالى ، يمتلئ
القلب بهذه الرحمة ، تتعكس لينا ، يجتمع الناس ، وكل منصب قيادي يحتاج إلى أن يكون
متواضعاً لمن حوله والتواضع فضيلة كبيرة .

ارتباط صلاح المجتمعات بتطبيق منهج الله عز وجل :

الدكتور راتب :

فقط ملمح دقيق حينما قال الله عز وجل :

﴿ فَانذَرُونِي أَذْكَرُمْ ﴾

[سورة البقرة: ١٥٢]



الإنسان إذا ذكر الله أدى واجب
العبودية له ، لكن الله إذا ذكره منحه
الحكمة ، منحه فضيلة التعاون ، منحه
فضيلة فريق العمل ، منحه فضيلة

التواضع .

من ذكره الله منحه الحكمة والتعاون وإنكار الذات

إنكار الذات ، أنا أرى أنه لا تصلح هذه المجتمعات إلا إذا طبقوا منهج ربهم ، وأرى أيضاً أنه ما من مشكلة على وجه الأرض من آدم إلى يوم القيامة إلا بسبب خروج عن منهج الله ، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب الجهل ، الجهل أعدى أعداء الإنسان ، الجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به .

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الفاضل لو انتقلنا إلى موضوع متعلق بالتواضع أيضاً ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

((طوبى لمن تواضع في غير منقصة))

[البهقي في السنن الكبرى ، وفي شعب الإيمان عن ركب المصري]

((وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله))

[مسلم و الترمذي عن أبي هريرة]

فهنا نقول سيدي : التواضع هو سمة الأنبياء ، وسمة العلماء ، وسمة القادة الناجحين ، لو قلنا نريد طريقاً نترسمه لهذا التواضع ، طريقاً يجعل الإنسان متواضعاً لله حقاً فماذا يمكن أن نقول ؟

الطريقة التي تجعل الإنسان متواضعاً لله حقاً :

الدكتور راتب :

والله أنا أرى ما دام الإنسان في طريقه
الله ، ما دام يستحضر عظمة الله دائماً
هو لا شيء أمام الذات الإلهية ،
الإنسان إذا ابتعد عن الله يكبر ، أما
كلما اقتربت من الله فتصغر ، لكن هذا
الوضع الصغير من أجل أن تكبر ، أنا
لي كلمة دقيقة : الإنسان إذا سافر
يصغر لكن يصغر ليكبر ، إذا إنسان
تفوق حول ذاته وعاش بأوهام غير



القريب من الله متواضع دائماً

صحيحة هو صغير يتوهم نفسه كبيراً لكن هو صغير ، فالإنسان حينما يلتقي مع أطراف أخرى ، مع أطراف أخرى ، مع شرائح أخرى يتحجم ، لكن يتحجم كي يتفوق .



إذا نحن بحاجة إلى أن نختلط ، إلى أن نطلع ، لذلك يقول الإمام الشافعي : " من لم يعهد منه سفر لم يعهد منه علم " بالسفر يرى علماء آخرين ، يرى مؤسسات دينية أخرى، يرى نشاطاً كبيراً ، يرى دعاة كباراً ، وهذا ما يسمى بتبادل الخبرات ، ومجتمع المؤمنين مجتمع متعاون ومتماسك ، فلذلك كلما اتسعت دائرة الإنسان

تواضع ، ويقول الإمام الشافعي : " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي " .
الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا ؛ لو انتقلنا إلى محورنا الأخير في هذا اللقاء الطيب وكنت قد قرأت لابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى مفهوماً جديداً للتواضع أقرؤه لأول مرة يقول : " أول درجات التواضع أن يتواضع الإنسان لشرع الله فلا يعارض منقولاً بمعقول " . وهذا مفهوم جديد كيف نفهم تواضع الإنسان للشرع و الخضوع للمنهج ؟

من التواضع خضوع الإنسان لمنهج الله عز وجل :

الدكتور راتب :

طبعاً لا بد من فهم مهمة العقل ، المشكلة الكبيرة حينما يعتمد العقل مرجعاً وحيداً نقع في الاعتزال ، نقع في خطأ كبير ، العقل مهمته التأكد من صحة النقل ثم فهم النقل ولن يكون العقل حكماً على النقل ، النقل وحي السماء ، العقل مقياس أرضي

نحن الآن لو أيقظنا إنساناً من قبره مات قبل خمسين عاماً ، أعطينا قرصاً ، أنا عندي قرص فيه خمسة عشر ألف عنوان ، عنوان غير كتاب ، قد يكون تفسير الرازي أربعين جزءاً ، عنوان واحد فيه خمسة عشر ألف عنوان في قرص صغير ، الذي عاش قبل خمسين عاماً لا يصدق ، لأن عقله مرتبط بالواقع ، فنحن طبعاً شيء طبيعي جداً



أن يتوافق النقل مع العقل ، العقل مقياس أودعه الله فينا والنقل وحي السماء ، لكن أحياناً لو افترضنا تعارضاً بينهما أنا مع النقل ، لأن النقل وحي السماء ، العقل مرتبط بالواقع ، فالذي أيقظناه من قبره أعطيناه قرصاً مدمجاً لا يصدق فيه خمسة عشر ألف عنوان ، لا يصدق لأن عقله كان في عصر لا يوجد به جهاز كومبيوتر ، وبالمناسبة هذا الحاسوب رفع الدقة من واحد لمليون ، نزل الجهد من مليون لوحد ، تصور من دراجة لروزرايز ، نزل سعره من روزرايز لدراجة ، فأنا أرى الآن الإنسان إذا لم يتقن هذا الجهاز يصنف مع الأمية الحديثة .
الأستاذ بلال :

إذاً التواضع من المنهج ، جزء من التواضع أن يخضع الإنسان لمنهج الله ، لو توهم الإنسان أن هناك تعارضاً بين العقل والنقل فأين مرجعه ؟

مرجع الإنسان النقل لأنه وحي السماء :

الدكتور راتب :

أنا مع النقل لأنه وحي السماء ، لأن خبرة الله مطلقة ، الحقيقة لا يعقل أن يعطينا ربنا جهازاً يتناقض مع وحيه ، المصدر واحد ، بالمناسبة بالرياضيات الحدان اللذان يساويان حداً واحداً هما متساويان ، فذلك العقل مقياس أودعه الله فينا ، والنقل وحيه ، والمصدر إله واحد .
الأستاذ بلال :

ولكننا نحتكم إلى النقل ببارك الله بكم أمر أخير في موضوع التواضع قوله النبي صلى الله عليه وسلم :

((ومن تواضع لله رفعه الله ...))

[البزار عن طلحة بن عبيد الله]

وكان التواضع علامة معرفة بالله تعالى ؟

التواضع علامة معرفة الله تعالى :

الدكتور راتب :

نعم ، هو الحقيقة ، النتيجة الطبيعية لمعرفة الله هي التواضع ، لذلك أشد الناس علماً أشدهم تواضعاً



ولا يتكبر إلا الجاهل ، بالمناسبة لو أن إنساناً عنده كمية من اللبن وجاءه ضيوف كثير ، ممكن أن يضيف الماء إليها تصير شراباً رائعاً جداً ، لكن هذه الكمية من اللبن لا تحتمل قطرة بترول واحدة ، فلذلك الكبر يفسد كل شيء :

((لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ))

[[الكبرياء رداي والعظمة إزاري....]]

[مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه]

كيف أن قطرة بترول واحدة تضاف للبن ينتهي ، وممكن أن تضيف له خمسة أمثال ماء فيصير شراباً طيباً ، فلذلك التكبر يفسد كل شيء .

الأستاذ بلال :

وهؤلاء الطغاة سيدي والمتكبرون والذين كما ورد في الحديث :

((الكبرياء رداي والعظمة إزاري....))

[البخاري عن أبي هريرة]

يطغون ويفسدون في الأرض وهم في قبضة الله عز وجل .

التكبر حمق و غباء :

الدكتور راتب :

والله الذي لا إله إلا هو بنظرة علمية صارمة لا أرى أغبي من الطغاة ، لماذا ؟ لأنهم ما أدخلوا الله في حساباتهم ، الله كبير ، أقول : كبير ولا أرتوي من هذه الكلمة ، فالإنسان عندما لا يدخل عظمة الله في حساباته وفي معاييرها يكون أحمق وغيباً ، فلذلك الغباء أن تتفرد بقرار دون أن تنتبه إلى عظمة الله عز وجل ولوعيده ووعده .



لا يوجد أغبي من الطغاة لأنهم لم يدخلوا الله في حساباتهم

الأستاذ بلال :

سيدي الله عز وجل يقول :

﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٣]

فهؤلاء مهما تكبروا ومهما توهموا أنهم في عظمتهم وجبروتهم فهم في قبضة الله عز وجل .

كل إنسان بقبضة الله عز وجل :



الدكتور راتب :

المتانة مقاومة قوى الشد ، فالفلوذا
أمتن عنصر ، والقساوة مقاومة قوى
الضغط ، فالألماس أفسى عنصر ، فالله
قال :

﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾

[سورة الأعراف: ١٨٣]

أي هذا الذي يتوهم أنه حر ، طليق ،
وقوي ، ويفعل ما يريد ، من غيائه
توهم أنه طليق وهو في قبضة الله ، كن فيكون ، زل فيزول .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم ، وشكر الله لكم ، ونفعنا بما سمعنا ، وأنتم أخوتي المشاهدين أشكر لكم المتابعة ،
نلتقيكم في لقاء آخر أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته .

والحمد لله رب العالمين